مع العلماء المسلمين الصينيين (١)

في هذه السلسلة من الحوارات، تلتقي ((الصين اليوم)) مع نخبة من العلماء المسلمين الصينيين للتعرف على مسيرتهم وأفكارهم ورؤاهم وإسهامتهم الوطنية والدينية، ورؤيتهم لمستقبل بلادهم. (المحرر)

البروفيسور دينغ جيون (أحمد لطيف): تعميق التعاون الصيني - العربي بالتبادلات الإنسانية والحضارية

طه بنغ تشو يون

((الصين اليوم)): في البداية، نشكركم على التكرم بقبول إجراء هذا الحوار، ودعنا نبدأ بتقديم نبذة عنكم وعن معهد دراسات الشرق الأوسط بجامعة شانغهاي للدراسات الدولية.

د. دينغ جيون: بادئ ذي بدء، أنا سعيد بهذا الحوار مع ((الصين اليوم)). اسمي دينغ جيون (أحمد لطيف)، أشغل حاليا منصب مدير معهد دراسات الشرق الأوسط في جامعة شانغهاي للدراسات الدولية، رئيس تحرير الطبعة الصينية لمجلة ((دراسات العالم العربي))، والطبعة الإنجليزية لـ((المجلة الآسيوية للدراسات الشرق أوسطية والإسلامية))، إضافة إلى أنني عضو بالمؤتمر الاستشاري السياسي بمدينة شانغهاي ونائب رئيس الجمعية الإسلامية بمدينة شانغهاي.

تأسست جامعة شانغهاي للدراسات الدولية في سنة ١٩٤٩، كجامعة رئيسية على المستوى الوطني، وتخضع لإشراف وزارة التعليم ويتم تطويرها بالتعاون بين وزارة التعليم وحكومة مدينة شانغهاي. أما معهد دراسات الشرق الأوسط بالجامعة، فقد تأسس في سنة ١٩٨٠، وهو مؤسسة بحثية متخصصة ذات تأثير أكاديمي هام، حيث تم اعتماده من قبل وزارة التعليم في عام ٢٠٠٠ كقاعدة بحثية رئيسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. يعمل المعهد منذ فترة طويلة على بناء تخصص دراسات الشرق الأوسط والدراسات العربية ذات الخصائص الصينية، حيث يلتزم المعهد بمتابعة ودراسة قضايا الشرق الأوسط من منظور صيني، ولا مجال لاستخدام النظريات الغربية في تقديم تفسير وشرح حول الصين أو الشرق الأوسط. على مدى سنوات، يتواصل المعهد ويجري تبادلات أكاديمية مع المؤسسات البحثية في العديد من الدول الأجنبية، ومنها الدول العربية.

((الصين اليوم)): من المعروف أنكم خبير في دراسات التاريخ والثقافة العربية، فنرجو أن تستعرض لنا موجز مسيرتكم العلمية.

د. دينغ جيون: درست في الجامعة المركزية للقوميات في بكين وجامعة بكين وجامعة شانغهاي للدراسات الدولية، كما درست وعشت سنوات عديدة في عدد من الدول العربية. درست على يد البروفيسور تشو وي ليه (عبد الجبار) أثناء دراستي في جامعة شانغهاي للدراسات الدولية لنيل درجة الدكتوراه. ومن المعروف أن البروفيسور تشو وي ليه خبير مرموق في الدراسات العربية، وكان من طلاب الأستاذ الكبير ما جيان (محمد مكين) في جامعة بكين. لم يكن البروفيسور تشو وي ليه يقدم لي التوجيه والتدريب الأكاديمي فحسب، وإنما أيضا كان يحدثني دائما عن مساهمات الأستاذ ما جيان في التعاون الصيني- العربي، وقد شجعني على التعلم وتوارث روح الأستاذ ما جيان في حب الوطن وتفانيه الأكاديمي، للتمسك بالتقاليد الأكاديمية السامية، وتحمل

البروفيسور دينغ جيون

مهمـة العصر لمواصلة التبادلات الثقافية بين الصين والدول العربية.

بفضـل توجيـه وتشـجيع البروفيسـور تشـو وي ليه، سـرت على الـدرب الأكاديمي تدريجيـا، حيث واصلـت إجـراء البحوث في المجـالات المعنيـة، بإصـدار سلسـلة مـن الكتـب الأكاديمية، مثل ((جـولات في الثقافة الإسـلامية))، و((تاريخ العـرب وثقافتهم))، و((المنهـج التاريخـي لتعليم اللغـة العربية فـي الصين))، و((دراسـات نقدية حول تيار الوسطية الإسـلامية المعاصرة))، إضافة إلى أكثر من مائة ورقة بحثية أكاديمية، كما قمت بالإشـراف والمشـاركة فـي أكثر من عشـرة مشروعات بحث علمي على المستوى الوطني والإقليمـي والـوزاري، وفازت بعـض أعمالي بجائـزة الإنجـاز المتميـز للفلسـفة والعلوم الاجتماعيـة علـى مسـتوى شـانغهاي وعلى مستوى وزارة التعليم.

((الصيـن اليـوم)): في رأيكـم، ما هي النقـاط المشـتركة بيـن الحضارتيـن الصينيـة والعربيـة؟ ومـا هـو الأصـل التاريخـي والضـرورة العمليـة للتعلـم المتبادل بينهما؟

د. دينغ جيون: تزخر الحضارتان الصينية والعربيـة بكنـوز مـن الفلسـفة والحكمـة، ويجمـع بينهمـا العديد من القيم المتشـابهة والموحدة، مثـل الدعوة إلى السـلام والعدالة والتمسـك بالوسـطية والتسـامح والتشجيع علـى طلـب العلـم والمعرفـة. إذا نظرنا إلى الوراء فـي التاريخ، فإن هاتيـن الحضارتين التقتـا وتلاقحتـا عبـر طريق الحريـر البري وطريـق الحرير البحـري، وكتبتا فصلا رائعا لـ"التعارف من دون تصـادم، والامتزاج عبر التواصل" في تاريخ الحضارة الإنسـانية. إن الانتشـار الواسـع للمقولـة العربيـة القديمة "اطلبـوا العلـم ولو فـي الصين" في الشـرق الأوسـط، لا يعكس إعجاب العرب بالحضارة الصينيـة فحسـب، وإنمـا أيضا يحفـز أبناء العرب على القدوم إلى الصين منذ قديم الزمان وحتـى يومنا هـذا، للقيـام بأعمـال التجارة والدراسة، بل إن منهم من استقروا في الصين ولم يرجعـوا إلى مواطنهـم الأصلية، فصاروا جسـرا طويل الأمد للتبـادلات الحضارية بين الصين والدول العربية.

حاليا، وبينما الصين دخلت في عصر جديد تشـهد فيه تطورا سـريعا وتقترب من مركز المسـرح العالمي، تتطور العلاقات الصينية-العربية بسـرعة، فقـد أقام الجانبان شـراكة تعاون وتنمية إسـتراتيجية شـاملة وموجهة نحو المسـتقبل. تشـهد التبادلات الحضارية بين الصين والدول العربية مزيدا من التوسـع والتعمق، كمـا أن المغزى العصـري والقيمة المثاليـة للتواصـل والتعلـم المتبـادل بيـن الحضارتيـن تصبـح أكثر بـروزا. فـي عالم اليوم، نشـهد ظهور نظريات خاطئة مختلفة مثل "صراع الحضارات" والحضارة المتفوقة" و"التهديـد الصينـي" و"الإسـلامفوبيا". في مواجهة تحديات العصر، تلتزم الصين والدول العربية بتجاوز الحواجز الحضارية من خلال التبادل الحضاري، وتجاوز صراع الحضارات من خـلال التعلـم المتبـادل، وتجـاوز نزعة التفوق الحضاري بالتعايش بين الحضارات. في كلمته الهامة بجامعة الدول العربية، أثناء زيارتـه لمقـر الجامعـة في سـنة ٢٠١٦، قـال الرئيـس الصيني شـي جين بينغ: "لكل من الحضـارة الصينيـة والحضـارة العربية خصوصياتهـا ونظامهـا، غيـر أن كلا منهما تحتوي على مفاهيم ومساع مشتركة تراكمت خلال مسـيرة تقدم وتطور البشـرية، وتؤمن كلتاهمـا بقيـم الوسـطية والوئـام والسـلام والوفاء والتسـامح والانضباط الذاتي. فيجب علينا إجـراء الحوار بيـن الحضارتين والحث علـى قبول الغيـر والتعلم المتبـادل، والعمل معـا علـى إحيـاء مزيد مـن القيـم الإيجابية فـي ثقافتنـا وتقاليدنا القوميـة الأصيلة التي تتماشـى مع عصرنا اليـوم. إن المناطق على امتداد 'الحزام والطريـق' هي مناطق يزدهر وينشـط فيها التواصـل الإنسـاني والثقافي، الـذي يُعرف بقوتـه الناعمـة ودوره الدؤوب فـي تعزيـز التفاهـم بيـن الشـعوب." الآن، تسـعى الصين والدول العربية في بناء رابطة التنمية المشـتركة من خلال البناء المشـترك العالـي الجودة لـ "الحـزام والطريق"، وبناء رابطة الصحة المشـتركة من خـلال التعاون فـي مكافحـة جائحـة كوفيـد- ١٩، وبنـاء رابطة مشـتركة للإنسـانية من خـلال إجراء التبـادلات الحضاريـة، لتقديـم المسـاهمات الصينيـة- العربيـة فـي قضيـة بنـاء رابطة المصير المشترك للبشرية. إن التنمية السلمية هـي الطمـوح المشـترك للشـعبين الصيني والعربـي. في عـام ٢٠١٧، وبمبادرة الرئيس شـي جين بينغ، تم تدشـين "مركز الدراسات الصينـي- العربـي للإصـلاح والتنميـة" في جامعة شـانغهاي للدراسـات الدوليـة، الذي أتشرف بأنني أستاذ كرسي فيه. نظم المركز حتى الآن، عشـر دورات دراسـية لمسـؤولي الـدول العربية. أثناء التبادلات مع أعضاء تلك الدورات، أسـمع منهم دائمـا تقديرهم العالي لإنجـازات الصين في التنميـة والتضامن بين أبناء القوميات المختلفة.

((الصيـن اليـوم)): ملـف المسـلمين الصينييـن أحـد محاور التقاريـر الكاذبة عـن الصين في وسـائل الإعـلام الغربية. بصفتكم نائب رئيس الجمعية الإسـلامية بمدينـة شـانغهاي، كيـف تـرى أحـوال المسـلمين الصينيين في العصر الجديد؟ ما هـي مشـاركتهم فـي بنـاء المجتمع وتحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية؟

د. دينغ جيون: يصادف هذا العام الذكرى المئوية لتأسـيس الحزب الشـيوعي الصيني الـذي جذبت إنجازاتـه العظيمـة خلال قرن من النضال انتباه العالم. إن التمسك بسياسة المساواة بين القوميات وحرية الاعتقاد الديني يمثلان تجربة هامة وناجحة للحزب الشيوعي الصينـي في حكم البلاد، ويوفر ضمانة متينة لاسـتقرار البـلاد وتنميتهـا. هـذه السياسـة لا تحظـى بدعـم الشـعب الصيني مـن كافة القوميات فحسب، وإنما أيضا ثبت نجاحها من خلال الممارسـات الطويلـة المدى. إن القوى الغربيـة المعادية للصين، تتجاهـل الحقائق وتهاجـم وتشـوه الصيـن فـي مجـال الدين والقوميات، وتحاول عبثا تقويض الاسـتقرار الاجتماعي والوحدة بين القوميات في الصين، بل تفريق وتقسيم المجتمع الصيني، من أجل عرقلـة تنمية الصين السـلمية، مـع ذلك، لن تنجح هذه المحاولات أبدا.

بعض المؤلفات من أعمال البروفيسور دينغ جيون

حب الوطن سمة فطرية للمسلمين الصينيين. في التاريخ، وفي كل مرة تعرضت فيها الصين لأزمة، كان مسلمو الصين يقفون جنبا إلى جنب مع المواطنين الآخرين من مختلف القوميات لمواجهة المحن والتحديات، ويكافحون لحماية الوحدة الوطنية والتضامن بين القوميات. على مدى القرن الماضي، يتبع مسلمو الصين دائما خطى الحزب الشيوعي الصيني في قضايا البلاد بمختلف المراحل، سواء في أيام الثورة والبناء أو الإصلاح. قدم مسلمو الصين مساهمات بارزة في الثورة الصينية وبناء الدولة، تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني. في العصر الجديد، يواكب مسلمو الصين خطوات التنمية والتقدم، ويعززون باستمرار الشعور بالانتماء للأمة الصينية، لتقديم مساهمات جديدة ومستمرة في تحقيق الحلم الصيني والنهضة العظيمة للأمة الصينية.

إن رفع راية الوطنية عاليا والدعوة إلى روح السلام والوحدة والتسامح هي من التقاليد الرائعة للأوساط الإسلامية في كل أنحاء البلاد، بما فيها شانغهاي، حيث ظهر فيها العديد من المسلمين المعروفين بحبهم للوطن. على سبيل المثال، في فترة الحرب ضد الغزو الياباني، سافر الإمام دا بو شنغ (نور محمد) إلى دول الشرق الأوسط على نفقته وشرح على نطاق واسع القضية العادلة للشعب الصيني في حرب المقاومة ضد الغزو الياباني. كما رافق الإمام دا بو شنغ رئيس مجلس الدولة الراحل شو أن لاي، كمستشاره في الشؤون الدينية، إلى مؤتمر باندونغ الشهير، وقدم مساهمات للصين الجديدة في مجال الدبلوماسية الإنسانية. إن الجمعية الإسلامية بمدينة شانغهاي بصفتها منظمة وطنية، تلعب دور الجسر للحزب والحكومة للتواصل مع المسلمين لسنوات عديدة. تسعى الجمعية لخدمة الوضع العام للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في شانغهاي، إضافة إلى تعزيز التبادلات والتكامل بين أبناء القوميات المختلفة، والمشاركة في التبادلات الثقافية لشانغهاي مع الخارج، لتبين للمجتمع الدولي الملامح الجديدة لتضامن وتقدم القوميات المختلفة في الصين.

((الصين اليوم)): ما هي مزايا مسلمي الصين في تعزيز التفاهم والتبادلات الإنسانية بين الشعبين الصيني والعربي؟ وماذا يمكن أن يفعلوا؟

د. دينغ جيون: على مدى سنوات التاريخ الطويلة، لعب مسلمو الصين دورا هاما وقدموا مساهمات فريدة في تعزيز التبادلات الودية بين الشعبين الصيني والعربي. لقد قام البحار الصيني المسلم الشهير تشنغ خه بسبع رحلات إلى الغرب، وزار العديد من المناطق العربية. إن إنجازاته العظيمة ما زالت تحظى بثناء الناس حتى الآن. في فترة أسرتي مينغ وتشينغ (من القرن الـ١٧ إلى القرن الـ١٩)، قام العديد من العلماء المسلمين الصينيين بتأليف الكتب التي دمجت بها الثقافة الصينية التقليدية مع الفلسفة الإسلامية العربية، وأكدت أن "أصول الإسلام والكونفوشية واحدة ولا يختلفان في المبادئ"، وكلاهما من "الطرق التي تحمل غاية العدالة والاستقامة والسلامة". لقد ارتقى التواصل والتعلم المتبادل بين الحضارتين الصينية والعربية إلى مستوى التفكير الفلسفي، فلا يقتصر الأمر فقط على تعميق التواصل والتعلم المتبادل بين الحضارتين، وإنما يتوسع الى تعزيز المسار التاريخي لقضية توطين الإسلام في الصين. وقد أشار الرئيس شي جين بينغ، في كلمته أمام الجلسة الافتتاحية لمنتدى حوار الحضارات الآسيوية عام ٢٠١٩، إلى "التواصل بين الإسلام والكونفوشية". في أوائل القرن العشرين، سافرت مجموعات من الطلاب المسلمين الصينيين، وفي مقدمتهم الأستاذ الكبير ما جيان إلى مصر لمواصلة الدراسة، وأقاموا مرة أخرى جسرا للتواصل والتعلم المتبادل بين الحضارتين الصينية والعربية، حيث قدموا الثقافة الصينية إلى العالم العربي وشرحوا قضية الصين العادلة في محاربة الغزو الياباني. السيد ما جيان ترجم أيضا كتاب ((الحوار)) لكونفوشيوس إلى اللغة العربية، ونشره في القاهرة، مما أتاح هذا الكتاب الثقافي الصيني الكبير لأول مرة للقراء العرب.

بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، دخلت الاتصالات الدولية للمسلمين الصينيين حقبة تاريخية جديدة، تمثلت في التوسع المستمر والارتقاء الملحوظ في مجالات ومستويات الاتصال مع الخارج. اليوم، ومع دخول الصين مع دول العالم الأخرى عصرا جديدا لبناء "الحزام والطريق" ورابطة المصير المشترك للبشرية، يقوم مسلمو الصين بتبادلات دولية بمزيد من النشاط والانفتاح والثقة بالذات لتعزيز اتصالاتهم وصداقتهم مع شعوب كل دول العالم، بما فيها الدول العربية، ويقدمون مساهمات جديدة في تعزيز التواصل والتعلم المتبادل بين الحضارة الصينية والحضارات الأجنبية.